

الاتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة فى دراسة نوعية الحياة

أماني زوسر حليم(*)

أ.د. إيمان البسطويسى(**) أ.د. علياء الحسين(***)

• ملخص:

هدفت هذه الورقة البحثية إلى تقديم الاتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة في لفهم وتقييم شامل لنوعية الحياة من خلال تتبع نشأة المفهوم وتطوره. وإبراز الاتجاهات الأنثروبولوجية في فهم نوعية الحياة، من خلال التركيز على التجارب المعيشة والاجتماعية والثقافية التي تمنح المفهوم طابعاً إنسانياً أعمق. واعتمدت الباحثة على مجموعة من النظريات المفسرة لنوعية الحياة، أبرزها نظرية ماسلو للحاجات الإنسانية، ونظرية القدرات لأمارتيا سن، ونظرية الرضا عن الحياة.

وتوصل البحث إلى هدفت هذه الورقة البحثية إلى تقديم الاتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة في لفهم وتقييم شامل لنوعية الحياة من خلال تتبع نشأة المفهوم وتطوره. وإبراز الاتجاهات الأنثروبولوجية في فهم نوعية الحياة، من خلال التركيز على التجارب المعيشة والاجتماعية والثقافية التي تمنح المفهوم طابعاً إنسانياً أعمق. واعتمدت الباحثة على مجموعة من النظريات المفسرة لنوعية الحياة، أبرزها نظرية ماسلو للحاجات الإنسانية، ونظرية القدرات لأمارتيا سن، ونظرية الرضا عن الحياة.

وتوصل البحث إلى أن هذا المفهوم لم يظهر دفعة واحدة، بل تطور تدريجياً نتيجة تحولات فكرية واجتماعية واقتصادية، وذلك من خلال نشأة وتطور مفهوم نوعية الحياة، حتى أصبح أحد المفاهيم المركزية في تحليل أوضاع الأفراد والمجتمعات. وكيف تم تطويره من خلال كافة اتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة، وقد أوضحت المؤشرات المرتبطة بنوعية الحياة تنوع الجوانب التي يتضمنها المفهوم، سواء كانت اقتصادية، اجتماعية، صحية، نفسية، ثقافية، وروحية. ويفضل المنهج الأنثروبولوجي وباستخدام كافة أدواته، وأيضاً باستخدام المنهج الوصفي التحليلي تصل دراسة نوعية حياة الأفراد أو المجتمعات إلى أفضل وأدق واقع لحياتهم.

الكلمات المفتاحية: نوعية، الاتجاهات الموضوعية، الذاتية، الوجودية

(*) باحث دكتوراه بقسم الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة

(**) أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة

(***) أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة

Modern Anthropological Trends in Studying The Quality of Life

Amany Zoser Halim

Prof. Dr. Iman Al-Bastawisi

Prof. Dr. Aliaa Al-Hussein

• Abstract

This research paper aims to present modern anthropological trends in a comprehensive understanding and assessment of quality of life by tracing the origin and development of the concept. It also highlights anthropological trends in understanding quality of life by focusing on the lived, social, and cultural experiences that give the concept a deeper human character. The researcher relied on a set of theories that explain quality of life, most notably Maslow's theory of human needs, Amartya Sen's theory of capabilities, and the theory of life satisfaction. The research concluded the importance of combining quantitative and qualitative approaches and utilizing the anthropological approach with all its tools, in addition to relying on objective indicators (such as income, education, and health), subjective indicators (such as general satisfaction), and existential indicators (such as a sense of meaning and self-fulfillment). It also utilizes established measures such as the World Health Organization's (WHO) Quality of Life (QoL) and the Likert scale to provide a comprehensive picture of quality of life as a complex and multidimensional concept.

Keywords: quality, trends, objectivity, subjectivity, existentialism

• مقدمة:

مفهوم نوعية الحياة من المفاهيم المحورية التي أصبحت تحتل مكانة مركزية في الدراسات الاجتماعية والإنسانية المعاصرة، نظراً لما يعكسه من شمولية في تناول مختلف جوانب حياة الإنسان، المادية والمعنوية. وقد تطور هذا المفهوم تاريخياً ليعكس انتقال الاهتمام من مجرد قياس مؤشرات التنمية الاقتصادية إلى محاولة فهم التجربة الإنسانية الشاملة في بعدها النفسي والاجتماعي والثقافي والوجودي. فليست جودة الحياة مقتصرة على الدخل أو المأكل أو السكن فقط، بل تشمل أيضاً الإحساس بالرضا، والشعور بالأمان، والانتماء، والقدرة على تحقيق الذات. ومن أهم النظريات الخاصة بنوعية الحياة نظرية الحاجات الإنسانية لماسلو، التي أوضحت أن الإنسان لا يكتفي بتلبية احتياجاته الفسيولوجية، بل يسعى كذلك إلى الأمان، والانتماء، والتقدير، وأخيراً تحقيق الذات. وتبرز أهمية هذا المفهوم بصورة خاصة عند التعامل مع الفئات المهمشة، كالأقليات واللإجئيين، حيث يصبح تقييم نوعية الحياة أداة لفهم مستوى المعاناة، وحدود الإشباع، ومواطن الاغتراب أو الاندماج داخل المجتمعات الجديدة. ويتطلب تناول نوعية الحياة منهجاً متعدد الأبعاد، يدمج بين المؤشرات الموضوعية كالدخل والسكن والرعاية الصحية، والمؤشرات الذاتية كالرضا العام والشعور بالسعادة، بالإضافة إلى المؤشرات الوجودية المرتبطة بالكرامة الإنسانية والإحساس بالمعنى. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة نوعية الحياة تمثل مدخلاً علمياً لفهم الفوارق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والكشف عن أشكال التفاوت والتمييز، كما تعد أداة تحليلية لفهم السياسات العامة وتقييم مدى فعاليتها في تحسين حياة الأفراد والمجتمعات، وبخاصة الفئات التي تعيش على هامش الحياة.

أولاً: إشكالية البحث:

إن مفهوم "نوعية الحياة" منذ العقود الأخيرة شهد اتساعاً في الاهتمام الأكاديمي والمجتمعي، نظراً لتحوله من مجرد مؤشر تنموي فرعي إلى أحد المحاور المركزية في تقييم السياسات العامة، وجودة المعيشة، وفعالية التدخلات الاجتماعية. غير أن هذا الاهتمام، وعلى الرغم من تنوعه وتراكمه، لا يزال يعاني من تضيق مفهومي ومنهجي،

يتمثل في الهيمنة الكمية والمقاربة الاقتصادية والاجتماعية البحتة، حيث تختزل نوعية الحياة في مؤشرات موضوعية قابلة للقياس، مثل الدخل، أو مؤشرات الصحة، أو الوصول إلى الخدمات. لكن هذا التبسيط في تناول مفهوم مركب مثل نوعية الحياة، أدى إلى تهميش الأبعاد الثقافية والرمزية والمعيشية التي تشكل جوهر التجربة الإنسانية داخل السياقات الاجتماعية المختلفة، لاسيما في البيئات التي تتسم بالهشاشة، كبيئات اللاجئين والمهمشين، حيث تصبح نوعية الحياة مرتبطة بالمعنى بقدر ما هي مرتبطة بالواقع. وهنا تبرز الأنثروبولوجيا الحديثة كمجال علمي قادر على تفكيك المفهوم من داخله، غير أن الاتجاهات الأنثروبولوجية رغم ما تحمله من إمكانيات تحليلية ونقدية لم تتل حظها الكافي من التفعيل في دراسات نوعية الحياة، خصوصاً في العالم العربي، حيث ينذر دمجها بشكل منهجي ضمن الأدبيات التطبيقية، أو توظيفها في البحث الميداني. كما أن أغلب الأدبيات الأنثروبولوجية التي تناولت "الحياة اليومية" أو "الثقافة المعيشية" لم تربط صراحة بمفهوم نوعية الحياة كمفهوم علمي قائم بذاته، ما يجعل من هذا الفراغ العلمي نقطة انطلاق حقيقية لهذه الدراسة.

وعليه تتمثل الإشكالية في: كيف يمكن للاتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة (الاجتماعية، الثقافية، التطبيقية، والتنموية) أن تعيد بناء مفهوم نوعية الحياة من الداخل، وتقدمه بوصفه تجربة إنسانية، نابعة من داخل الثقافة، وإلى أي مدى تسهم هذه الاتجاهات في تطوير أدوات بحثية ميدانية قادرة على التقاط تمثيلات الأفراد لرفاههم ومعيشتهم وانتمائهم. فهذه الدراسة لا تنطلق فقط من الحاجة إلى فهم نوعية الحياة عبر استدعاء الأدوات الأنثروبولوجية الحديثة بوصفها أدوات تسمح بالاقتراب من الصوت الداخلي للخبرة الإنسانية، لا الاكتفاء برصد مظاهرها الخارجية. وتعد هذه الإشكالية مدخلاً ضرورياً لإعادة التفكير في كيف يمكن أن تصبح نوعية الحياة مرآة حقيقية لتجربة الإنسان لا مجرد صورة إحصائية عنها.

ولاحظت الباحثة إن العوامل التي تؤثر على نوعية الحياة متعددة، وتأثيرها على مستويات الرفاهية الاجتماعي والاقتصادي كبير، وايضاً لاحظت الباحثة صعوبات الاندماج في الاجتماعي والثقافي في مجتمع مختلف عند الانتقال من مجتمع لآخر، ولذلك تكمن المشكلة في فهم وتحليل المكونات المتعددة لنوعية الحياة، وتحديد العوامل المؤثرة فيها بشكل دقيق.



ثانياً: أهمية الدراسة

تمثل دراسة نوعية الحياة ليس فقط من الناحية الأكاديمية، ولكن أيضاً على المستوى الإنساني، الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي أهمية كبرى وخاصة من الناحية الانثروبولوجية، فمثلاً يواجه هؤلاء البشر تحديات متعددة تؤثر على نوعية حياتهم، بما في ذلك صعوبات في الحصول على الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم، بالإضافة إلى التحديات الاقتصادية والاجتماعية (تقرير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2023). ولذلك فإن دراسة الاتجاهات الانثروبولوجية الحديثة في دراسة نوعية الحياة يساعد كثيراً في تقييم وتحليل كمي وكيفي وإنساني لساكني الامور الحياتية.

ثالثاً: مفاهيم الدراسة

- نوعية الحياة (Quality of Life - QoL)

تشير نوعية الحياة إلى الدرجة التي يتمكن فيها الأفراد من تحقيق الرفاهية العامة في مختلف جوانب الحياة، بما في ذلك الصحة، الدخل، البيئة الاجتماعية، والرضا النفسي

- جودة الحياة (Quality of Life vs. Standard of Living) وفقاً لمنظمة

الصحة العالمية (WHO)، تعرف جودة الحياة بأنها: (إدراك الأفراد لوضعهم في الحياة ضمن القيم والثقافة التي يعيشون فيها، ومدى ارتباط ذلك بأهدافهم وتوقعاتهم واهتماماتهم) فجودة الحياة (QoL): تشمل الأبعاد النفسية والاجتماعية إلى جانب العوامل الاقتصادية. (جمال الدين، نجوى يوسف، 2020، ص 102).

- مفهوم مستوى المعيشة (Standard of Living): يشير إلى القدرة المالية

للأفراد والقدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية مثل الغذاء، السكن، والصحة (جمال الدين، نجوى يوسف، 2020، ص 102).

- مفهوم جودة الحياة (Life Quality أو Well-being) يشير إلى مستوى

الرفاهية العامة التي يشعر بها الأفراد بناء على تقييمهم لمختلف جوانب حياتهم، مثل الصحة، والعلاقات الاجتماعية، والاستقرار الاقتصادي، والرفاه النفسي. وقد

أصبحت جودة الحياة مفهوماً أساسياً في مجالات الصحة العامة، وعلم النفس، والتنمية الاجتماعية (جمال الدين، نجوى يوسف، 2020، ص 102).

تعريف نوعية الحياة لغوياً

تعني (نوعية الحياة) مستواها وفقاً للظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية التي يعيش فيها الفرد. كلمة "نوعية" مشتقة من "نوع"، وتعني الصفة أو الخاصية التي تميز شيئاً معيناً عن غيره، تشتق النوعية من النوع الذي يعطي تصنيف أو توصيف أو وصف لشيء ما ، فهو يشمل كلا من النوعين الجيد والرديء (ابن المنظور، 2013، ص55)

ونوعية الحياة مفهوم خاص بحالة الوجود البشري، بينما تشير "الحياة" إلى الوجود والنشاط والقدرة على البقاء والتفاعل مع المحيط. وبالتالي، فإن المفهوم يشير إلى مدى تحقيق الفرد للظروف المثلى التي تضمن له الرفاهية والرضا (well-bein) التنعم او (welfare) الرفاه ، ويرتبط مفهوم نوعية الحياة بصورة وثيقة بمفاهيم كثيرة منها جودة الحياة ومعنى الحياة. والاحوال المعيشية. (Oxford English Dictionary,) (2020, p 215).

تعريف نوعية الحياة اصطلاحياً

يشير مفهوم نوعية الحياة إلى الدرجة التي يتمكن فيها الأفراد من تحقيق مستوى معيشي مرضي، استناداً إلى معايير موضوعية وذاتية ووجودية. ويشمل ذلك توافر الموارد الأساسية مثل الغذاء، والسكن، والصحة، والتعليم، يتأثر بالعوامل الموضوعية والذاتية التي تشمل تقييم الجوانب الوظيفية والجسدية والاجتماعية والعاطفية للشخص بالإضافة إلى الجوانب غير المادية مثل الشعور بالرضا والسعادة والمعنى في الحياة (Diener et al., 2017, p7).

تعريف منظمة الصحة العالمية لنوعية الحياة

نوعية الحياة تكمن في إدراك الأفراد لمكانتهم في الحياة في سياق الثقافة وأنظمة القيم التي يعيشون فيها، وعلاقتها بأهدافهم وتوقعاتهم ومعاييرهم واهتماماتهم. ويشير



هذا التعريف إلى أن نوعية الحياة لا تعتمد فقط على الظروف المادية، ولكن أيضاً على التجربة الذاتية والرضا الشخصي، وهو ما يميزها عن مفاهيم أخرى مثل مستوى المعيشة الذي يعتمد على العوامل الاقتصادية فقط. (WHOQOL , 2020).

تعريف جمعية علم النفس الأمريكية:

وقد عرفت جمعية علم النفس الأمريكية APA نوعية الحياة بالمدى الذي يصل إليه الفرد في تحقيق الرضا عن الحياة، ولكي يبلغ الفرد نوعية حياة جيدة، فإنه يلزمه تحقق عدة أمور هي: جودة المعيشة أو اللياقة النفسية والمادية والجسمية، والارتباط بعلاقات شخصية، ووجود فرص للارتقاء الشخصي (مثل المهارات)، وممارسة الحقوق، وعمل اختيارات أسلوب الحياة وتحديدها ذاتياً، والمشاركة في المجتمع، أو مشكلات ارتقائية، أو مشكلات عجز أخرى، أو من يخضعون لعلاج طبي أو نفسي، ولا شك أن نوعية الحياة بهذا المعنى الشامل تعكس مدى أهمية العمل على تقويتها ودعمها خصوصاً بالنسبة للاجئين السودانيين

تعريف نوعية الحياة في الدراسات الأنثروبولوجية:

نوعية الحياة عبارة عن نتاج لتفاعل الأفراد مع بيئتهم الاجتماعية والثقافية، وهو ما يجعلها مفهوماً نسبياً ومتعدد الأبعاد. فبينما قد تقاس نوعية الحياة في الدراسات الاقتصادية بمستويات الدخل أو معدلات الفقر، ينظر الأنثروبولوجيون إلى كيفية إدراك الناس لظروفهم المعيشية، ومدى تحقيقهم للرضا والرفاهية في حياتهم اليومية. فاعلم الباحثين يرون أن نوعية الحياة لا تقتصر فقط على تلبية الاحتياجات الأساسية، بل تشمل أيضاً الإحساس بالانتماء وتحقيق الذات والمشاركة الفعالة في المجتمع. كما أن هناك تبايناً في تعريف نوعية الحياة بين الأفراد والمجتمعات، حيث قد تختلف الأولويات والتطلعات بناء على السياقات الثقافية والاجتماعية المختلفة (عبيد، عائشة بيه (2017، ص 352).

التعريف الإجرائي

تقاس نوعية الحياة باستخدام مؤشرات موضوعية وذاتية ووجودية، استناداً إلى نظرية ماسلو، من خلال عشرة جوانب أساسية تتعلق بحياة اللاجئين السودانيين في القاهرة.

باستخدام المنهج الوصفى التحليلى والمنهج الانثروبولوجى والمنهج الكمى والكيفى والمختلط حتى يعبر اللاجئين السودانيين في القاهرة عن مدى رضاهم تجاه أوضاعهم بشتى الطرق.

رابعاً: أهداف الدراسة

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم شامل لنوعية الحياة من الناحية الانثروبولوجية الحديثة التى يتم استخدامها فى فهم وتقييم نوعية الحياة.

- التعرف على اهمية الإتجاهات الانثروبولوجية فى دراسة نوعية الحياة.
- التعرف على نشأة مفهوم نوعية الحياة.
- التعرف على النظريات المفسرة لنوعية الحياة.
- التعرف على المناهج المستخدمة لتقييم نوعية الحياة.
- التعرف على المؤشرات الموضوعية والذاتية والوجودية المفسرة لنوعية الحياة.
- التعرف على مقاييس نوعية الحياة.

خامساً: المنهج الوصفى التحليلي

يهدف المنهج الوصفى التحليلي إلى دراسة ظاهرة معينة عبر جمع البيانات ذات الصلة ثم تصنيفها وتحليلها لاستخلاص الاستنتاجات. يعتمد هذا المنهج على استخدام أدوات بحثية متنوعة مثل الاستبيانات والمقابلات والملاحظات الميدانية لتحديد العوامل المؤثرة في الظاهرة البحثية

كما تم استخدام هذا المنهج لفهم نوعية الحياة من خلال استكشاف العلاقات بين العوامل الاجتماعية (مثل التعليم والدخل)، العوامل النفسية (مثل الشعور بالرضا أو التقدير)، والعوامل الاقتصادية (مثل الحصول على عمل أو مساعدة إنسانية). يمكن عبر التحليل الوصفى التحليلي تحديد المدى الذي يؤثر فيه التكيف الاجتماعي، والمساعدة الإنسانية، والوضع الاقتصادي على رفاهية اللاجئين السودانيين في القاهرة (محمد سرحان علي المحمودي، 2019، ص50)



سادساً: الدراسات السابقة

الغرض من الدراسات السابقة وفقاً لهذه الورقة البحثية التعرف على أبرز الاتجاهات التي تم استخدامها في تناول نوعية الحياة.

1- رزق الله رزق الله، إكرام بن سلمان، نهاد بوازدي، 2023 جودة الحياة لدى الأمهات العازبات، رسالة ماجستير قسم علم النفس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8 مايو 1945 قاملة، لجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. هدفت الدراسة الى التعرف على مستوى جودة الحياة لدى الامهات العازبات، ومعرفة مستوى جودة الحياة بالنسبة لبعء الصحة الجسدية والصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية والبيئة لدى الامهات العازبات، ولتحقيق هذه الاهداف تم الاعتماد على اسلوب دراسة حالة وإختيار عينة شملت 20 حالات ولجمع البيانات تم الإعتماد على المنهج الإنثروبولوجي وتمثلت ادوات الدراسة فى المقابلة نصف موجهة والملاحظة مع تطبيق مقياس جودة الحياة لمنظمة الصحة العالمية بنسخته المختصرة وتم الإعتماد على الاسلوب الكمي والكيفي لمعالجة البيانات.

وتوصلت نتائج الدراسة على ما يلي :مستوى جودة الحياة منخفض لدى الامهات العازبات منخفض بالنسبة لبعء الصحة الجسدية لدى الامهات العازبات. و بالنسبة لبعء الصحة النفسية لدى الامهات العازبات .وبالنسبة لبعء العلاقات الاجتماعية لدى الامهات العازبات . وبالنسبة لبعء البيئة لدى الامهات العازبات

2- أحمد عواد جمعه، 2022 ، تقييم مستوي جودة الحياة في البيئات الحضرية بالمدن الجديدة في مصر دراسة حالة: مدينة حدائق أكتوبر مجلة البحوث الحضرية.

هدفت هذه الدراسة لمعرفة هل المجتمعات العمرانية الجديدة تحقق معايير ومؤشرات جودة الحياة لذلك تناقش الدراسة مفهوم جودة الحياة الحضرية بشكل أكثر عمقاً، والذي يتسم بالتوازن في صياغة الأدوات التي تساعد في تقييم مستوى جودة الحياة الحضرية داخل المجتمعات العمرانية الجديدة. لكي تتمكن من قياس مدى الشعور بالرضا لتصور

هذه التجمعات من خلال تلبية احتياجاتها الحضرية، ومن ثم السعي نحو مستقبل حضري أفضل ومجتمع متوازن ينعم بجودة الحياة الحضرية. وتعتمد على (نظريات الاحتياجات الإنسانية في إطار السياق الحضري، ومناهج ونظريات التصميم الحضري المعاصر)، حيث تمثل الجانب المعنوي والجانب المادي لجودة الحياة في البيئات الحضرية، حيث تم تقييم الرضا لتوطين مدينة حدائق أكتوبر كأحد التجمعات العمرانية الجديدة، كما يمكن أن تكون هذه الأدوات مفيدة للمخططين والمصممين ويمكن الاعتماد عليها عند الشروع في بناء وتطوير المجتمعات العمرانية. وفي مختلف أنحاء العالم.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: بعد دراسة احتياجات ونظريات وتوجهات التصميم الحضري المعاصر، تم التوصل إلى بعض أدوات القياس لقياس مدى رضا سكان هذه المجتمعات باستخدام قانون رافائيل؛ باعتباره من أكثر القوانين استخداماً في قياس "جودة الحياة".

3- مروة محمد تهامي أبو زيد، د/ رشا سعيد أبو شقرة ، 1444هـ - 2022م، نوعية الحياة لدى نساء الحمرة: دراسة أنثروبولوجية ميدانية للنساء العاملات بقطاع مصانع الطوب الأحمر - كلية البحوث والدراسات الأفريقية- جامعة القاهرة.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى محاولة معرفة تأثير الظروف والأوضاع المعيشية في تشكيل نوعية الحياة لدى نساء الحمرة (النساء العاملات في قطاع حمل الطوب بالمصانع)، وكيف تتشكل رؤيتهن للحياة، وذلك للتوصل إلى مقترحات قد تساعد في تحسينها، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي.

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج لعل أهمها: أن هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور قطاع النساء العاملات في مصانع الطوب، وقد تحددت أهم هذه العوامل في غياب عائل الأسرة، مثل: وفاة الزوج، الطلاق، هجر الزوج، قلة دخل العائل، إدمان الزوج، وغيره، مما أدى إلى قيام المرأة بإعالة الأسرة. كذلك انخفاض المؤشرات الذاتية لنوعية الحياة لدى نساء الحمرة أسهم في قلة درجات الرضا عن الحياة.



4- أمل عبد الفتاح شمس، إبريل 2018، تحسين نوعية الحياة: بحث على عينة من قاطني العشوائيات المنقلين إلى (حي الأسمرات) المقالة 20، المجلد 46، إبريل - يونيه (ب) - الرقم المسلسل للعدد 2، استاذ علم الاجتماع المساعد - قسم الفلسفة وعلم الاجتماع - كلية التربية - جامعة عين شمس.

يهدف البحث، إلى التعرف على رؤية قاطني العشوائيات، المنقلين إلى حي الأسمرات بمحافظة القاهرة، لـ (نوعية الحياة)

واعتمدت الدراسة على (نظرية الحاجات - رؤية ماكس فيبر - مدخل القدرات - المؤشرات الموضوعية لجودة الحياة - نظرية النسق - نظرية لاوتن لطبعة البيئة)، استعان البحث، بمناهج وأدوات (كمية وكيفية) لتحقيق أهدافه، مثل: تطبيق مقياس: (تحسين نوعية الحياة في حي الأسمرات)، المسح الاجتماعي بالعينة على عدد (400) أسرة، وأداة الملاحظة، والمقابلات الفردية، والتحليل الكمي والكيفي، لإجابات الأسئلة المفتوحة، وبرنامج التحليل الإحصائي SPSS.

وتوصلت نتائج البحث إلى أنه كان نقل قاطني العشوائيات إلى حي الأسمرات، محاولة لتحسين نوعية حياتهم في بيئة أفضل، لكن ما توصلت إليه الباحثة إن قاطنو العشوائيات المنقلين إلى حي الأسمرات يعانون من ارتفاع نسبة الإعالة في الأسرة، انتقل العوز والفقر وعدم كفاية الدخل إلى حي الأسمرات، مع قاطني العشوائيات، نتيجة عدم وجود فرص عمل في حي الأسمرات، تساهم في تحسين دخلهم، تعاني الأمهات (ربات الأسر)، من تدني مستوى تعليمهن، لكن تتميز الإقامة في حي الأسمرات بـ: نظافة المكان - توافر الأمن - جودة فرش الوحدات السكنية - وجود المياه والغاز الطبيعي - اتساع الملاعب والشوارع - الحرية الشخصية - دعم مصاريف المدارس.

أولاً: نشأة وتطور مفهوم نوعية الحياة

يرجع الاهتمام بنوعية الحياة إلى الفلسفات القديمة، حيث ناقش أرسطو (Aristotle) في كتابه الأخلاق النيقوماخية مفهوم السعادة (Eudaimonia)، معتبراً أنها تتحقق عبر الفضيلة والعمل الأخلاقي وليس بمجرد السعي وراء اللذة (أرسطو، 1895، ص 72). أما أفلاطون (Plato)، فقد ركز في الجمهورية على أهمية العدالة الاجتماعية والتناغم المجتمعي كعناصر رئيسية لتحقيق الحياة الجيدة (أفلاطون، 1713، ص 95).

- العصور الوسطى: تأثرت فكرة نوعية الحياة في العصور الوسطى بالقيم الدينية، حيث ركزت الفلسفة الإسلامية والمسيحية على تحقيق الرضا الروحي والطمأنينة باعتبارهما الأساس لحياة جيدة. وقد ظهر هذا المفهوم في كتابات الفارابي وابن سينا، حيث اعتبرا أن السعادة الحقيقية لا تتحقق إلا من خلال المعرفة والاتصال بالعقل الفعال (ابن سينا، 1020، ص 47).

- تطور مفهوم نوعية الحياة في العصر الحديث في القرن التاسع عشر مع ظهور الفكر الاقتصادي الكلاسيكي، بدأ التركيز على مستوى المعيشة كعامل محدد لجودة الحياة. وقد تناول آدم سميث في كتابه ثروة الأمم (1776) العلاقة بين الاقتصاد ورفاهية الأفراد، معتبراً أن تحسين الظروف المعيشية يعزز رفاهية المجتمع (سميث، 1776، ص 102). كما أشار كارل ماركس إلى أن نوعية الحياة تتأثر بالظروف الاقتصادية والاجتماعية، حيث تؤدي اللامساواة الطبقيّة إلى تدهور جودة الحياة للفئات الفقيرة (ماركس، 1867، ص 214).

- وفي القرن العشرين ومع تقدم علم النفس وعلم الاجتماع، بدأ العلماء في دراسة نوعية الحياة من منظور الرفاهية الذاتية والصحة النفسية. ومن أهم النظريات التي ساهمت في تطور المفهوم: نظرية ماسلو للحاجات الإنسانية

اقترح أبراهام ماسلو (ماسلو، 1943، ص 389). في نظرية الدافعية الإنسانية أن تحقيق الذات يمثل قمة هرم الاحتياجات، وهو العنصر الأساسي في تحسين نوعية الحياة. يشمل الهرم ما يلي:



حاجات فسيولوجية (الطعام، الماء، النوم).

حاجات امان (السكن، الأمان الوظيفي).

حاجات اجتماعية (العلاقات، الصداقة).

حاجات التقدير (الاحترام، الإنجازات).

تحقيق الذات (التطوير الشخصي والإبداع) (ماسلو، 1943، ص 389).

- ثم ظهر مفهوم الرفاهية الذاتية إذ قدم إد دينر (Diener) مفهوم الرفاهية الذاتية كأحد أهم أبعاد نوعية الحياة، مشيراً إلى أن السعادة والرضا عن الحياة عنصران أساسيان في قياس جودة الحياة (دينر، 1984، ص 550).

- وفي السبعينات أدخلت منظمة الصحة العالمية (WHO) مفهوم نوعية الحياة الصحية، وأكدت أنها تتعلق ليس فقط بالخلو من المرض، ولكن أيضاً بالرفاهية الجسدية والنفسية والاجتماعية (WHO, 1978, p 32).

- وفي القرن الحادي والعشرون خلال العقود الأخيرة، أصبحت نوعية الحياة تقاس بمؤشرات تجمع بين العوامل الاقتصادية، الاجتماعية، البيئية، والنفسية. وقد أطلقت الأمم المتحدة تقرير التنمية البشرية عام 1990، حيث اعتمد على: (academia.edu، 2015)

- وبتأثير التكنولوجيا والعولمة أصبح للتطور التكنولوجي والعولمة تأثير كبير على نوعية الحياة، حيث أدت الثورة الرقمية إلى تحسين جودة الحياة عبر تحسين فرص التعلم، والرعاية الصحية، وسهولة الوصول إلى المعلومات. ومع ذلك، ظهرت تحديات مثل الإدمان الإلكتروني، وتدهور العلاقات الاجتماعية، مما أدى إلى إعادة تقييم تأثير التكنولوجيا على نوعية الحياة.

ثم تطور مفهوم نوعية الحياة تطوراً أكبر من كونه مفهوماً فلسفياً قديماً إلى أن أصبح مقياساً دقيقاً يستخدم في العلوم الاجتماعية وخاصة الانثروبولوجية والصحية والاقتصادية. واليوم يتم تقييم نوعية الحياة باستخدام مؤشرات شاملة تشمل الصحة،

الرفاهية النفسية، الاستقرار الاقتصادي، والعلاقات الاجتماعية، مما يجعلها مفهوماً ديناميكياً يتغير مع الزمن والتقدم التكنولوجي. (academia.edu ، 2015)

ثانياً: الإتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة في دراسة نوعية الحياة

شهدت الأنثروبولوجيا تطوراً واضحاً في العقود الأخيرة، حيث لم تعد مجرد دراسة للثقافات البعيدة أو المجتمعات التقليدية، بل أصبحت تعنى بفهم التغيرات المعاصرة، والهشاشة، والتفاوت، وتسهم في تحليل نوعية الحياة، هي: الأنثروبولوجيا التطبيقية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الأنثروبولوجيا الثقافية، الأنثروبولوجيا التنموية، والأنثروبولوجيا النقدية.

1- الأنثروبولوجيا التطبيقية

تركز الأنثروبولوجيا التطبيقية على توظيف المعرفة الميدانية لتحسين الواقع الاجتماعي، من خلال تحويل نتائج الدراسات إلى أدوات تدخل أو دعم سياسي. ويعد هذا الاتجاه جسراً بين النظرية والممارسة، إذ لا يكتفي الباحث فيه بوصف الواقع بل يشارك في تغييره. وأن الأنثروبولوجيا التطبيقية تسمح للباحث بأن يكون وسيطاً بين المجتمع ومؤسسات الدولة أو الجهات المانحة، عبر نقل المعرفة المحلية والاحتياجات الحقيقية للسكان، خصوصاً المهمشين واللاجئين. ومن هنا يصبح الباحث جزءاً من التفاوض على تحسين نوعية الحياة، وليس مجرد ناقل للبيانات. (عواد، نسرين، 2021، ص 166)

2- الأنثروبولوجيا الاجتماعية

يعتمد هذا الاتجاه على فهم نوعية الحياة من خلال العلاقات الاجتماعية وشبكات التضامن والمساندة. فالفرد لا يعيش منفصلاً عن جماعته، بل تتشكل تجربته من خلال الانتماء، والتفاعل، والمكانة داخل البناء الاجتماعي. وأن الشعور بالاندماج الاجتماعي، والدعم الأسري، وقوة الروابط الاجتماعية، تعد من مؤشرات الرفاهية المهمة، التي تؤثر في الإحساس بالكرامة والاستقرار. في حالة اللاجئين، غالباً ما تتأثر هذه العلاقات بالهجرة القسرية، والتشتت الأسري، مما يضعف نوعية الحياة رغم توفر



بعض الخدمات. (عواد، نسرين، 2021، ص 133). تشمل جودة العلاقات الاجتماعية ومدى توفر الدعم الأسري والمجتمعي حيث يتعلق هذا الاتجاه بوجود روابط اجتماعية قوية مثل العائلة، الأصدقاء، والمجتمع المحلي. تساهم العلاقات الاجتماعية الصحية في تحسين نوعية الحياة، حيث يشعر الأفراد بمزيد من الدعم الاجتماعي، مما يعزز القدرة على التعامل مع التحديات الحياتية. كما أن الانخراط في الأنشطة الاجتماعية (الاندماج الاجتماعي) والعيش في مجتمع متماسك يزيد من الشعور بالانتماء. (الطيب، س، 2023، 78-83 p.).

يعرف أصحاب الاتجاه الاجتماعي "جودة الحياة" من منظور يركز على الأسرة والمجتمع، وعلاقات الأفراد والمتطلبات الحضرية والسكان والدخل والعمل، وضغوط الوظيفة والمتغيرات الاجتماعية الأخرى. (Diener, et al, 1999، 280- 282p). كما تقاس نوعية الحياة أيضا بالعديد من المؤشرات الذاتية للأفراد في المجتمع مثل:

- 1- السعادة.
- 2- الرضا عن الذات وعن الآخرين.
- 3- العلاقات الاجتماعية الإيجابية.
- 4- الوعي بمشاعر الآخرين.
- 5- ضبط الانفعالات.
- 6- ضبط الدخلى للسلوك
- 7- المسؤولية الشخصية والمسؤولية الاجتماعية.
- 8- المشاركة في الأعمال التعاونية.
- 9- الولاء والانتماء للأسرة والمدينة والوطن.
- 10-التوافق الشخصي والاجتماعي والصحي والأسرى والمهني.
- 11-التفاؤل.

وهذه العناصر تؤدي إلى إحساس الفرد (شعوره) بجودة المعيشة وإحساسه بالرضا عن شتى مجالات الحياة، ويترتب على ذلك إحساسه بالرضا عن حياته ومن ثم تحقيق سعادته.

3- الأنثروبولوجيا الثقافية

إن نوعية الحياة مفهوم نسبي وثقافي بالأساس، لا يمكن تعريفه بمعزل عن القيم، والرموز، والتصورات المحلية. فكل مجتمع يمتلك تعريفه الخاص لما يعد "حياة جيدة"، وما يعبر عن الكرامة أو الإهانة، الراحة أو المعاناة. وأن تجاهل الخصوصيات الثقافية في البرامج التنموية أو الخدمات الاجتماعية يؤدي إلى رفض مجتمعي، أو إلى فشل المشروعات لأنها لا تعكس رؤية الناس لحياتهم. وتُساعد الأنثروبولوجيا الثقافية على تفسير كيف يصوغ البشر معانيهم الخاصة للعيش والاستقرار، في ظل ثقافتهم الأصلية وظروفهم الجديدة. (سليمان، محمود، 2019، ص 145) وهذا الاتجاه يشمل دور الهوية الثقافية والأنشطة الثقافية في تعزيز نوعية الحياة. الحفاظ على الهوية الثقافية والتفاعل مع الأنشطة الثقافية والفنية يساهم في زيادة التقدير الذاتي والشعور بالانتماء، مما يحسن الرفاهية النفسية. من خلال الأنشطة الثقافية، يمكن للفرد التعبير عن نفسه وتحقيق إحساس بالتحقق الذاتي، مما يعزز من نوعية حياته. (سالم غزاي، 2023، ص 65-78)

4- الأنثروبولوجيا التنموية

الأنثروبولوجيا التنموية تهتم أن تفهم نوعية الحياة في سياق الجهود الرامية إلى تحسين مستويات المعيشة، لكنها تختلف عن التنمية التقليدية في أنها تعتمد على المنهج الميداني التشاركي، وتحترم المعايير الثقافية للسكان. وتسعى إلى تطوير مؤشرات أكثر شمولاً، بدلاً من المؤشرات الجاهزة المفروضة. وأن مشاريع التنمية الأكثر فاعلية هي تلك التي تشرك السكان المحليين في التشخيص والتخطيط والتنفيذ، لأنها تراعي أولوياتهم، وتستند إلى رؤيتهم الذاتية للحياة الجيدة. فإن أي جهد تنموي لا يراعي ظروفهم القانونية والاجتماعية والثقافية سيكون محدود الأثر. (عواد، نسرین، 2021، ص 180)

إن جوهر الطبيعة يخفق في إدراك أن الأخلاق قيمة بشرية مرتبطة بتحسين الحس وتقبيح القبيح من منظور العقل والوحي. وأن المدنية المعاصرة لا بد أن تجعل الإنسان هو الموضوع والغاية... فإن الفلاسفة يرون إن معالجة مشكلة جودة الحياة يجب أن تكون من خلال :



1-الحق في جودة العيش .

2-الحق في جودة الدخل.

3-الحق في جودة الصحة.

4- الحق في جودة المشاركة السياسية.

5- الحق في جودة الثقافة.

6- الحق في جودة المحيط.

7- الحق في جودة البيئة

ويؤكد الاتجاه الفلسفي على أن نوعية الحياة "حق متكافئ في الحياة والازدهار"، وحتى يحصل الإنسان على حياة مرضية. (أبو حلاوة، محمد السعيد، 2010، ص13-14)

5- الأنثروبولوجيا النقدية

الأنثروبولوجيا النقدية تهتم بتحليل البنى السياسية والاجتماعية التي تنتج المعاناة، وتكشف كيف تعيد السياسات، والقوانين، والبيروقراطيات إنتاج التهميش، خاصة لدى الفئات الضعيفة. لم يعد الباحث مكتفياً بوصف مظاهر الفقر أو العنف الرمزي، بل صار معنياً بتفكيك آليات السلطة التي تقيد فرص الحياة. وأن هذا الاتجاه يسلط الضوء على غياب العدالة في توزيع الموارد، أو ضعف السياسات التي لا تضمن الحماية القانونية والخدمات الأساسية. وهو ما يجعل الأنثروبولوجيا النقدية أداة لفهم نوعية الحياة ليس فقط من منظور فردي، بل في علاقتها بالهيكل التي تشكل الواقع. (عواد، نسرين، 2021، ص 214) ولذلك تقوم الأنثروبولوجيا النقدية بدراسة جوانب الحياة

- مثل الصحة البدنية تعتبر من الأبعاد الأساسية في تحديد نوعية الحياة، حيث أن القدرة على العمل والحركة بشكل طبيعي تعزز من رفاهية الأفراد. وبدأ الاهتمام بفهوم نوعية الحياة في المجال الطبي حيث لاحظ الأطباء العلاقة بين الحالة الصحية للفرد و نوعية الحياة من خلال معايير الجودة في الرعاية الصحية،

وضرورة الاهتمام بقضايا الحياة لدى المرضى حيث يدرك المرضى جودة الحياة بصورة تختلف عن الأسوياء، أن مفهوم نوعية الحياة المرتبط بالصحة هو مفهوم ذاتى متعدد الأبعاد يتضمن تقييماً لمجموعة من الخصائص الإيجابية والسلبية مثل الظروف الصحية والمرض. (فرجاني، 1992، ص 45).

- ودراسة الصحة النفسية والرفاهية النفسية للأفراد. حيث يعتبر الرضا عن الحياة أحد المؤشرات الرئيسية على نوعية الحياة النفسية، حيث أن الأشخاص الذين يشعرون بالتفاؤل والإيجابية تجاه حياتهم عادة ما يتمتعون برفاهية أعلى. والتحديات النفسية مثل الاكتئاب والقلق قد تؤثر سلباً على نوعية الحياة. من ناحية أخرى، التكيف مع الضغوطات وتحقيق التوازن النفسي يسهم بشكل كبير في تحسين نوعية الحياة. (Diener, et, 1999, 280, 282p) فتعرف موسوعة علم النفس Encyclopedia of Psychology نوعية الحياة على أنها مفهوم ذو أبعاد عديدة وتم تلخيصها إلى سبعة محاور تمثل فى مجموعها نوعية الحياة وهى:

1-التوازن الانفعالى حيث يتمثل فى ضبط الانفعالات الإيجابية والانفعالات السلبية مثل، الحزن والكآبة والقلق والضغوط النفسية ... إلخ.

2-الحالة الصحية للجسم.

3-الاستقرار المهنى حيث يمثل الرضا عن العمل أو الدراسة بعداً هاماً فى جودة الحياة.

4- الاستقرار الأسرى وتواصل العلاقات داخل البناء العائلى.

5- استمرارية وتواصل العلاقات الاجتماعية خارج نطاق العائلة

6- الاستقرار الاقتصادى وهو ما يرتبط بدخل الفرد الذى يعينه على مواجهة الحياة.

7- التواءم الجنسى ويرتبط ذلك بما يتعلق بصورة الجسم وحالة الرضا عن المظهر والشكل العام.

كما تعد نوعية الحياة النفسية مفهوماً ديناميكياً يتضمن الكثير من المكونات النفسية الإيجابية، وترتبط بمحاولة رصد كيف يدرك أو يقدر الأفراد مختلف جوانب حياتهم النفسية (Diener, et, 1999, 280- 282p)



- ودراسة مستوى الدخل، والاستقرار الوظيفي، فالدخل والاستقرار المالي لهما دور كبير في تحديد نوعية الحياة. لأن الأفراد ذوو الدخل المرتفع يتمتعون بفرص أفضل لتلبية احتياجاتهم الأساسية، مثل السكن، الطعام، والتعليم، والرعاية الصحية. بالإضافة إلى ذلك، توفر فرص العمل المستدامة فرصة للأفراد لتحقيق استقلالهم المالي والمشاركة الفعالة في الاقتصاد.(منسي، محمود عبد الحليم حامد وكاظم، 2010 ، ص 17)

- ودراسة البيئة التي يعيش فيها الفرد لأن دورها كبيراً في تحديد نوعية الحياة. تشمل العوامل البيئية مثل الهواء النظيف، المياه الصالحة للشرب، والمرافق العامة، جميعها تؤثر بشكل مباشر على الصحة العامة للفرد. التلوث البيئي وتدهور البيئة يمكن أن يؤدي إلى تدهور الصحة وزيادة الأمراض المزمنة، مما يؤثر بشكل سلبي على نوعية الحياة. (سالم غزاي، 2023، ص 65- 78)

- ودراسة الابتكار الفني والإبداعى: توجد علاقة طردية إيجابية بين نوعية الحياة والقدرة الإبداعية، فكلما تحسنت نوعية الحياة لدى الأفراد كلما تم خلق منافذ جيدة للقدرة الإبداعية، والعكس صحيح فإن تنمية المهارات والقدرات الإبداعية يزيد من نجاح الفرد وفاعليته وبالتالي يزداد رضاه عن حياته. (سالم غزاي، 2023، ص 65- 78)

- ودراسة تأثير الوجود الروحي عن المعنى والأهداف والأحداث التي ترتبط بحياة الفرد وتفسيره لها بصورة موضوعية وحل الصراعات الداخلية، بما يحقق له الرضا عن الحياة والسعادة مع الله ومع الآخرين وتوصل إلى أن الوجود الروحي يساهم في تحقيق الوجود النفسى الأفضل والرضا عن الحياة.وقد فسر كلاً من تأثير التدين على رضا الفرد عن الحياة، حيث تمثل العقيدة إطاراً مرجعياً يجعل حياة الفرد ذات معنى، وتعتبر عن نظرة تفاؤلية، مما يزيد رضا الفرد عن حياته. ويساعد التدين على التخفيف من أثر الضغوط النفسية، وأحداث الحياة السالبة، مما يزيد ورضا الفرد عن حياته كما يساعد التدين على التكامل الاجتماعى، مما يحقق الإحساس بالانتماء، ورضا الفرد عن حياته. (سالم غزاي، 2023، ص 65- 78)

ثالثاً: مؤشرات نوعية الحياة

إن تقييم نوعية الحياة من المفاهيم التى تعتمد على مجموعة من المؤشرات التى تشمل (المؤشرات الموضوعية، والمؤشرات الذاتية، والمؤشرات الوجودية) حيث تعكس كل منها جانباً مختلفاً من تجربة الأفراد في الحياة وقد حظي هذا المفهوم باهتمام متزايد في العقود الأخيرة، لا سيما في دراسات التنمية البشرية والهجرة القسرية، إذ يستخدم كأداة لفهم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تؤثر على الأفراد. وتبرز الدراسات الحديثة أن نوعية الحياة ليست مجرد انعكاس للظروف المادية، بل تتأثر أيضاً بالعوامل النفسية والثقافية، مما يستوجب تحليلاً متعمقاً يأخذ في الاعتبار مختلف المؤشرات والأبعاد المتداخلة. (عبيد، عائشة بيه، 2017، ص 353)

1- المؤشرات الموضوعية:

تشير المؤشرات الموضوعية إلى العوامل القابلة للقياس التي تحدد مستوى رفاهية الأفراد، وهي تشمل:

- الدخل والاستقرار الاقتصادي: يعتبر الدخل من أبرز العوامل التي تؤثر في نوعية الحياة، حيث يرتبط بمستوى المعيشة، وإمكانية الوصول إلى الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم

- السكن والبيئة المعيشية: توفر السكن الملائم والبنية التحتية الجيدة يُعد مؤشراً أساسياً على نوعية الحياة، حيث يؤثر على الصحة البدنية والنفسية، لا سيما في الأوساط التي تعاني من الفقر أو النزوح

- الخدمات الصحية والتعليمية: يعكس مدى توفر وجودة الخدمات الصحية والتعليمية مستوى الرفاهية العامة، حيث يعتبر الوصول إلى الرعاية الصحية والتعليم من الحقوق الأساسية لتحسين جودة الحياة (الفرجاني، 2019، ص 93).

2- المؤشرات الذاتية

تركز المؤشرات الذاتية على التقييم الشخصي والرضا عن الحياة وإدراك الأفراد لمستوى رفاهيتهم، بغض النظر عن الظروف المادية التي يعيشونها، وتشمل:



- الرضا عن الحياة: مدى شعور الأفراد بالراحة والرضا عن حياتهم بناءً على تقييمهم الشخصي لتجاربهم اليومية.
- الشعور بالسعادة والرفاه النفسي: يعد الشعور بالسعادة مؤشراً هاماً يعكس جودة الحياة من منظور ذاتي، إذ أظهرت الدراسات أن الرضا النفسي قد يكون أكثر تأثيراً من العوامل الاقتصادية في تحديد مستوى السعادة الشخصية.
- الإحساس بالأمان والاستقرار النفسي: يساهم الشعور بالأمان في تحسين نوعية الحياة، حيث يؤثر القلق وعدم الاستقرار سلباً على الرفاهية العامة، خاصة في المجتمعات التي تعاني من النزاعات أو الأزمات الاقتصادية (الفرجاني، 2019، ص 99).

3- المؤشرات الوجودية:

- المؤشرات الوجودية تشير إلى الجوانب الروحية والفلسفية التي تمنح الأفراد إحساساً بالمعنى والغاية في الحياة، بصفة عامة تعنى المعنى في الحياة وتحقيق الذات وتشمل:
- تحقيق الذات: مدى قدرة الأفراد على تحقيق طموحاتهم وتطوير إمكاناتهم الشخصية والمهنية، وهو عنصر أساسي في تقييم نوعية الحياة، حيث أظهرت الدراسات أن الأفراد الذين يشعرون بالإنجاز يتمتعون بإحساس أعلى بالرفاهية
 - الشعور بالانتماء والهوية: يرتبط الإحساس بالانتماء الثقافي والاجتماعي بتحسين جودة الحياة، خاصة في حالات الهجرة واللجوء، حيث يؤثر فقدان الهوية الثقافية على الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد
 - الرضا الروحي والبحث عن المعنى: يعد البعد الروحي مكوناً أساسياً في تقييم نوعية الحياة، حيث يساهم في تحقيق التوازن النفسي والرضا الوجودي، وقد أظهرت الدراسات أن الأشخاص الذين يتمتعون بإحساس قوي بالمعنى في حياتهم لديهم قدرة أكبر على التكيف مع الضغوط الحياتية (الفرجاني، 2019، ص 105).

رابعاً: نظريات نوعية الحياة

هناك العديد من النظريات التى تفسر نوعية الحياة من زوايا مختلفة، ويعتبر كل منها إطاراً لفهم العوامل التى تؤثر على رفاهية الأفراد والمجتمعات ونوعية حياتهم بصفة عامة. ومن أهم هذه النظريات:

1- نظرية ماسلو للحاجات (Maslow's Hierarchy of Needs, 1943)

قدم أبراهام ماسلو نظرية التدرج الهرمي للحاجات، التى تفترض أن الأفراد يسعون لإشباع حاجاتهم بشكل تدريجي بدءاً من الأساسيات وصولاً إلى تحقيق الذات. تتكون الحاجات من خمسة مستويات:

- الحاجات الفسيولوجية: مثل الطعام، الماء، النوم.
- حاجات الأمان: مثل الأمان الشخصي، الاستقرار الوظيفي.
- حاجات الانتماء: مثل العلاقات الاجتماعية والانتماء للجماعة.
- حاجات التقدير: مثل تحقيق الإنجازات والشعور بالاحترام.
- تحقيق الذات: وهو أعلى مستوى، حيث يسعى الفرد لتطوير إمكانياته وتحقيق طموحاته.

تعد هذه النظرية من أكثر النظريات شيوعاً في تفسير نوعية الحياة، حيث تظهر كيف أن تحسين الظروف المعيشية يؤدي إلى تلبية الاحتياجات الأساسية، مما يسهم في رفع جودة الحياة (ماسلو، 1954، ص 237).

2- نظرية الرفاهية الذاتية (Subjective Well-being - SWB)

تعرف الرفاهية الذاتية بأنها شعور الشخص بالرضا عن حياته بشكل عام، وتقيم من خلال السعادة والتقييم الذاتي للحياة. تنظر هذه النظرية إلى نوعية الحياة من خلال مدى شعور الأفراد بالإيجابية والتوازن العاطفي في حياتهم. (دينر، 1984، ص 542-575). ويجب أن تقاس عبر تجربة الفرد الذاتية للسعادة والرضا والانفعالات الإيجابية والسلبية، وليس فقط من خلال الظروف الخارجية (Diener et al., 1999, p. 277).



ويتكون الرفاه الذاتي من ثلاثة عناصر: الرضا عن الحياة، المشاعر الإيجابية، والمشاعر السلبية. ومن خلالها يتم تحليل الفرق بين التقييم الذاتي للاجئ وبين حالته المادية الفعلية. يشير دينر إلى أن كثيرًا من الأشخاص السعداء لا يعيشون ظروفًا مثالية، لكنهم يملكون توازنًا داخليًا إيجابيًا (Diener et al., 1999, p. 280). وتعتمد على تقييم الفرد لمدى رضاه عن حياته وسعادته العامة، بناءً على ثلاثة أبعاد:

- الرضا عن الحياة (Life Satisfaction).
- التوازن العاطفي (Balance of Positive and Negative Emotions).
- الإحساس بالمعنى (Sense of Purpose) (Ryff, C. D., & Keyes, C. L. (M.1995, p719- 727

ويمكن استخدام هذه النظرية من خلال تضمين استبيانات مثل مقياس "الرضا عن الحياة" (SWLS) ومقياس "التأثيرات العاطفية" (PANAS)، لتقييم كيف يشعر الأفراد تجاه حياتهم اليومية حتى في ظل الصعوبات. وأظهر دينر وآخرون أن مشاعر السعادة تتأثر بالعلاقات، والإيمان، والمعنى، أكثر من الدخل أو المسكن (Diener et al., 1999, p. 276).

3- نظرية الكفاءة الذاتية (Self-Determination Theory)

تؤكد هذه النظرية على أن الفرد يشعر بالرفاهية عندما يتمتع بالاستقلالية، والكفاءة الذاتية، والارتباط الاجتماعي. عندما يتمكن الأفراد من التحكم في حياتهم واتخاذ قراراتهم بحرية، فإنهم يتمتعون بنوعية حياة أعلى (رضوان، سامر جميل، 1997، ص 25-51) نظرية الكفاءة الذاتية (Self-Efficacy Theory) وتعد نظرية الكفاءة الذاتية من النظريات النفسية المهمة التي قدمها ألبرت باندورا (Bandura) ضمن نظريته الأوسع حول "التعلم الاجتماعي".

وترتكز هذه النظرية على فكرة أن إيمان الفرد بقدرته على تنظيم سلوكياته، والتحكم في الأحداث التي تؤثر على حياته، هو عنصر أساسي في رفاهه النفسي ونوعية حياته (Bandura, 1997, p42).

4- نظرية القدرات لآمارتيا سين (Capability Approach, 1993)

نظرية القدرة التي طرحها آمارتيا سن الاقتصادي والفيلسوف و مارتا نوسيوم على القدرات التي يمتلكها الأفراد لتحقيق رفاههم. تشير النظرية إلى أن نوعية الحياة تعتمد على قدرة الأفراد على اتخاذ الخيارات الحياتية التي تؤدي إلى حياة مرضية ومبينة على الحرية. وتعتبر نظرية القدرات لآمارتيا سن من أبرز النظريات التي أعادت تعريف مفهوم نوعية الحياة بشكل جوهري. لا تركز النظرية على الدخل أو الموارد فقط، بل على ما يستطيع الإنسان فعله أو أن يكونه فعلاً (Sen, 1999, p. 75). فمثلاً، لا يكفي أن يكون لدى الشخص مال، ولكن الأهم هو أن يتمكن من استخدام هذا المال ليعيش بكرامة ويتعلم ويشارك في المجتمع. ويمكن تطبيق هذه النظرية في دراسة نوعية الحياة من خلال تقييم القدرات الأساسية التي يجب أن يمتلكها الفرد مثل: القدرة على الحصول على غذاء صحي، السكن الآمن، المشاركة الاجتماعية، والحرية في اتخاذ القرارات. كما يمكن تصميم الاستبيان لقياس ما إذا كانت هذه القدرات متاحة فعلاً للفرد أم لا، وليس فقط ما إذا كان يمتلك الموارد المادية. ويوصي سن بألا نقيم الرفاه وفق ما يمتلكه الناس فقط، بل وفق الفرص الحقيقية المتاحة أمامهم لتحقيق حياة ذات مغزى (Sen, 2005, p. 153).

5- نظرية الحاجات الإنسانية الأساسية (Basic Human Needs Theory) –

ماكس نيف

طور مانفريد ماكس نيف نظرية الحاجات الإنسانية الأساسية، والتي تقترح أن هناك حاجات جوهريّة غير قابلة للتغيير عبر الثقافات، مثل البقاء، الحماية، التقدير، الانتماء، الحرية، الترفيه، والمعنى (Max-Neef, 1991, p. 32). وتختلف هذه النظرية عن ماسلو في أنها لا ترتب الحاجات بشكل هرمي، بل تعتبرها متكافئة ومتربطة، ويمكن تلبيتها بعضها بوسائل متعددة حسب الثقافة.

يميز ماكس نيف بين "الحاجات" (وهي عالمية) و"الوسائل" (وهي ثقافية)، ما يجعل النموذج مرناً جداً في دراسات نوعية الحياة (Max-Neef, 1991, p. 40).



6- نظرية المعنى في الحياة (Meaning of Life Theory)

يعد البحث عن المعنى جزءاً أساسياً من نوعية الحياة. يرى فيكتور فرانكل أن الأفراد الذين يجدون معنى في حياتهم، سواء من خلال العمل أو العلاقات أو الهوايات، يتمتعون بنوعية حياة أعلى حتى في مواجهة المحن. (Carlos, L, 2003، p40) وقد طوّرها الباحثة مايكل ستيغر (Steger)، وترتكز على فكرة أن الشعور بأن للحياة معنى وهدفاً هو عنصر جوهري وأساسي في إحساس الفرد بالرفاه والرضا، حتى لو كانت ظروفه المادية أو البيئية صعبة (Steger, 2009, p. 681).

وتشير الدراسات إلى أن الأفراد الذين يشعرون بأن لحياتهم معنى يعانون من معدلات أقل من الاكتئاب والقلق، ويعيشون بدرجات أعلى من الرضا والتفاؤل، ما ينعكس مباشرة على نوعية حياتهم بشكل إيجابي (Steger et al., 2006, p. 81).

7- نظرية الذات لكارل روجرز Carl Rogers' theory of the self

نظرية الذات لكارل روجرز من النظريات الإنسانية المهمة التي تفسر نوعية الحياة من خلال مفهوم الذات، حيث تؤكد على أن إدراك الفرد لنفسه يؤثر بشكل كبير على جودة حياته فكلما زاد التوافق بين الذات الحقيقية والمثالية، وشعر الفرد بالتقبل والدعم، تحسنت نوعية حياته بشكل كبير. (Smith, 2021, p45).

مفهوم الذات وعلاقته بنوعية الحياة

يرى روجرز أن الذات تتكون من ثلاثة عناصر رئيسية:

- الذات المدركة: وهي الصورة التي يراها الفرد عن نفسه.

- الذات المثالية: وهي الصورة التي يطمح الفرد إلى تحقيقها.

- الذات الحقيقية: وهي الصورة الواقعية التي يختبرها الفرد في حياته اليومية.

وكلما زاد التوافق بين هذه الأبعاد، زادت نوعية الحياة، حيث يشعر الفرد بالرضا النفسي والتوازن الداخلي (Johnson & Anderson, 2022, p78).

تحقيق الذات كعامل رئيسي في نوعية الحياة

يرى روجرز أن تحقيق الذات هو الدافع الأساسي للفرد نحو النمو الشخصي والتطور، مما يؤدي إلى تحسين نوعية الحياة. عندما يتمكن الفرد من تحقيق ذاته، يشعر بالإنجاز والرضا، مما يعزز من جودة الحياة النفسية والاجتماعية (Brown, p112, 2023).

التقبل غير المشروط وأثره على نوعية الحياة

يشير روجرز إلى أن التقبل غير المشروط، أي قبول الفرد كما هو دون شروط، يساهم في تعزيز ثقته بنفسه وتحقيقه للتوازن النفسي، مما يحسن نوعية حياته (Taylor, 2023, p56). ويؤكد روجرز على أهمية وجود بيئة داعمة، تتميز بالتعاطف والتفاهم والتقبل، يساعد الأفراد على تحقيق ذواتهم وتحسين نوعية حياتهم بشكل عام (Miller & White, 2024, p90).

8- نظرية التكيف (Adaptation Theory) – بريكمان وكامبل

ترى هذه النظرية أن الإنسان يتأقلم مع الأحداث السلبية أو الإيجابية، ويعود تدريجياً إلى خط أساس ثابت من الرفاه النفسي (Brickman & Campbell, 1971, p. 289). وهذا يفسر لماذا لا تستمر مشاعر السعادة أو الحزن الناتجة عن التغيرات الكبيرة لفترات طويلة. وتستخدم النظرية في تحليل حالات الذين تأقلموا مع ظروفهم رغم التحديات، حيث يمكن أن يظهروا مستويات رضا مرتفعة لأنهم اعتادوا على الوضع الجديد. لذلك من المهم التمييز بين الرضا اللحظي والتقييم العميق لنوعية الحياة. حتى من فقدوا كل شيء قد يظهرون تكيفاً نفسياً، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن حياتهم ذات جودة جيدة (Brickman et al., 1978, p. 917).

9 - نظرية رأس المال الاجتماعي (Social Capital Theory) – بوتنام

توضح النظرية إلى أن العلاقات الاجتماعية، والثقة المتبادلة، والمشاركة المجتمعية من أهم مقومات نوعية الحياة (Putnam, 2000, p. 19). وكلما كان الفرد جزءاً من شبكة دعم اجتماعي قوية، زادت قدرته على التكيف، والشعور بالانتماء، والاستقرار



النفسي. وتعتبر هذه النظرية بالغة الأهمية، حيث يمكن قياس نوعية الحياة من خلال مدى دعم الجيران، وجود الأصدقاء، والمشاركة في مؤسسات مدنية أو دينية. ويشير بوتنام إلى أن المجتمعات ذات رأس مال اجتماعي مرتفع تتمتع بنوعية حياة أفضل حتى في ظل الفقر أو التحديات الاقتصادية (Putnam, 2000, p. 22). كما تتأثر بشكل كبير بالعلاقات الاجتماعية والتفاعلات بين الأفراد في المجتمع. يشمل رأس المال الاجتماعي الثقة، التعاون، والروابط الاجتماعية التي توفر دعماً معنوياً ومادياً للأفراد، مما يعزز رفاههم. (فراش، مي صالح، 2024، ص 595-626) وتفرق بين أنواع الدعم: العاطفي، المعلوماتي، المادي، والتقييمي. ويمكن تطبيق النظرية لتقييم مدى شعور الفرد بعدم العزلة، ومن يدعمه فعلياً في حياته اليومية. فمثلاً: هل لديه من يلجأ إليه عند المرض؟ هل يشعر أنه مفهوم ومقبول من الآخرين؟ وضعف الدعم الاجتماعي يرتبط بانخفاض نوعية الحياة وارتفاع الاضطرابات النفسية. ويقول هاوس إن الدعم الفعال يعادل تأثير الدواء في خفض التوتر وتحسين الصحة العامة (House, 1981, p. 41).

10- نظرية رأس المال الثقافي (Cultural Capital Theory) - بيير بورديو

وضع بورديو مفهوم "رأس المال الثقافي" كمصدر رئيسي للتمييز الاجتماعي، ويرى أن المعرفة، والذوق، والمستوى التعليمي، واللغة، تساهم جميعاً في تشكيل نوعية حياة الفرد وفرصه في الحياة (Bourdieu, 1986, p. 243).

هذا النوع من "الثروة غير المادية" يتحكم في القدرة على الوصول للخدمات، فهم القوانين، ودمج الفرد في المجتمع، ويمكن قياس رأس المال الثقافي من خلال قدرة الأفراد على التواصل بلغة البلد المضيف، وفهم الثقافة المحلية، والانخراط في الأنشطة التعليمية والدينية والاجتماعية. الأفراد الذين يمتلكون رأس مال ثقافي أعلى قد يندمجون بسرعة أكبر ويحققون نوعية حياة أفضل. يؤكد بورديو أن التعليم لا ينتج فقط مؤهلات، بل ينتج فروقاً ثقافية تؤثر على إحساس الفرد بالقيمة والانتماء (Bourdieu, 1986, p. 246).

11 - نظرية العدالة الاجتماعية (Social Justice Theory) - جون رولز

أن نوعية الحياة لا تتحقق إلا بوجود عدالة في توزيع الفرص، والحقوق، والموارد (Rawls, 1971, p. 61). وتركز على أن الأفراد يجب أن يتمتعوا بنفس الحريات والفرص الأساسية، بغض النظر عن خلفياتهم أو أوضاعهم الاقتصادية. وتعتبر هذه النظرية أساساً لتحليل مدى حصولهم على فرص متساوية في التعليم، الصحة، العمل، والتمثيل القانوني. وشعور الفرد بالتمييز أو عدمه. ويقترح رولز مبدأ "الفرق"، والذي يعني أن أي تفاوت مقبول فقط (Rawls, 1971, p. 72)

12 - نظرية الضغوط النفسية والتكيف (Stress and Coping Theory) - لازاروس وفولكمان

تفترض هذه النظرية أن الضغوط جزء لا يتجزأ من الحياة، وأن كيفية تقييم الفرد لهذه الضغوط والتعامل معها هو ما يحدد تأثيرها على نوعية حياته (Lazarus & Folkman, 1984, p. 23). وتفرق بين التقييم الأولي (هل الوضع خطر أم لا؟) والتقييم الثانوي (هل أملك الوسائل لمواجهته؟).

وتستخدم هذه النظرية لتقييم الاستجابات النفسية والاجتماعية للاجئين، مثل القلق، الاكتئاب، أو استراتيجيات التكيف (كالدين، الهروب، طلب الدعم). كما يمكن قياس ما إذا كانت البيئة المحيطة تساعد في خفض الضغط أم تزيده. أشارت النظرية إلى أن الدعم الاجتماعي والمرونة النفسية من أقوى أدوات التكيف مع التهجير أو الفقد (Lazarus & Folkman, 1984, p. 56).

نظرية المعنى في الحياة (Meaning in Life Theory) - مايكل ستيغر

تؤكد هذه النظرية أن وجود المعنى في الحياة يعد من أهم عناصر جودة الحياة، وهو الذي يمنح الإنسان شعوراً بالاتجاه والقيمة والهدف (Steger, 2009, p. 679). وترى النظرية أن الإنسان لا يزدهر فقط عندما يلبي احتياجاته البيولوجية أو الاجتماعية، بل حين يشعر بأن لحياته معنى أعمق مرتبط بالهوية والقيم. ويمكن تطبيق النظرية من خلال تقييم البعد الوجودي لنوعية الحياة. يشير ستيغر إلى أن فقدان المعنى يرتبط بارتفاع مشاعر العجز والانتحار وانخفاض نوعية الحياة (Steger et al., 2006 p 81)

13 - نظرية الصمود (Resilience Theory) - ماستن

تعنى هذه النظرية بدراسة قدرة الإنسان على التكيف الإيجابي رغم الصعوبات والمحن، وترى أن بعض الأفراد يمتلكون مرونة نفسية تمكنهم من تجاوز الأزمات دون أن تنهار جودة حياتهم (Masten, 2001, p. 227). وتفترض أن الصمود يحدث من تفاعل عوامل داخلية (مثل الثقة بالنفس) وخارجية (مثل الدعم الاجتماعي) تستخدم هذه النظرية لفهم مَن يتمكن من الحفاظ على استقرار نفسي واجتماعي رغم الفقر أو التهجير. من الممكن بناء أدوات لقياس الصمود مثل مؤشرات: الشعور بالكفاءة الذاتية، القدرة على التخطيط، وإيجاد معنى في المعاناة. وتسمى ماستن الصمود "السحر العادي" لأنه يوجد لدى كثيرين دون أن يلاحظ. (Masten, 2001, p234)

14 - نظرية الاستدامة (Sustainability Theory)

تربط نظرية الاستدامة بين نوعية الحياة والقدرة على تحقيق التوازن بين التقدم الحالي وحقوق الأجيال القادمة (Diesendorf, 2000, p. 23). وترى هذه النظرية أن جودة الحياة ليست مجرد شعور فردي أو وضع اقتصادي، بل يجب أن تكون مستدامة بيئيًا، اجتماعيًا، وثقافيًا. وبالتالي، فإن نوعية الحياة تتطلب وجود موارد بيئية نظيفة، وعدالة اجتماعية، ومشاركة مجتمعية فاعلة.

تؤكد هذه النظرية أن مؤشرات نوعية الحياة يجب ألا تقيس "اللحظة"، بل تدمج المستقبل في التحليل (Diesendorf, 2000, p. 25).

15 - نظرية الشبكات الاجتماعية (Social Network Theory)

كيف تؤثر علاقات الفرد الاجتماعية وتركيبته شبكته الاجتماعية على حياته اليومية ورفاهه النفسي والاجتماعي (Berkman & Glass, 2000, p. 144). ويفترض المنظرون أن نوعية العلاقات أهم من عددها، وأن وجود روابط قوية (مثل الصداقة أو الجيرة الداعمة) يؤثر على مؤشرات مثل الاكتئاب، الوظيفة، والاندماج المجتمعي. ويمكن الاستفادة من النظرية في تحليل مدى اندماج الفرد في شبكات جديدة في مصر، وهل يشعر بالعزلة وتظهر الدراسات أن فقدان الشبكات يساوي في أثره فقدان العمل أو السكن (Berkman & Glass, 2000, p. 147).

16- نظرية الرضا عن الحياة (Life Satisfaction Theory) - فينهوفن

أن نوعية الحياة تقاس من خلال مدى رضا الإنسان عن حياته عموماً، بناء على تقييمه الشخصي لتجربته اليومية ومجمل ظروفه (Veenhoven, 2000, p. 12). ويعتبر الرضا عن الحياة هو "المؤشر الرئيسي للرفاه الذاتي"، ويستخدم في كثير من الدراسات كمؤشر مباشر لنوعية الحياة. ويمكن استخدام مقياس الرضا عن الحياة (SWLS) لمعرفة كيف يقيم الفرد وضعه الحالي مقارنة بما يتمنى. كما يمكن تحليل الفروق بين اللاجئين المقيمين في أحياء مختلفة أو من فئات عمرية متنوعة من حيث هذا الرضا. ويؤكد فينهوفن أن الرضا عن الحياة هو "الحكم النهائي" للفرد على مدى جودة حياته (Veenhoven, 2000, p. 15).

17- نظرية التحفيز الذاتي (Self-Determination Theory) - ديسي وراين

أن الإنسان يحتاج إلى إشباع ثلاث حاجات نفسية أساسية لكي يشعر بنوعية حياة جيدة مثل الاستقلالية، الكفاءة، والانتماء (Deci & Ryan, 2000, p. 229). وكلما تحققت هذه الحاجات، شعر الإنسان بالتحفيز الداخلي، والسعادة، والتمكين. وتعد هذه النظرية حيوية لتحليل شعورهم بالسيطرة على حياتهم، هل يشاركون في اتخاذ قراراتهم؟ هل يشعرون أنهم أكفاء وقادرون؟ هل يشعرون أنهم مندمجون وليسوا معزولين؟ يوضح ديسي وراين أن "الدعم النفسي للحاجات الثلاثة" هو مفتاح التطور الإيجابي لأي إنسان (Deci & Ryan, 2000, p. 234).

18- نظرية جودة الحياة المتعددة الأبعاد (Multidimensional Quality of Life Theory)

(Life Theory) نوسباوم وسن

هذه النظرية هي امتداد لنظرية القدرات التي طورها أمارتيا سن، وقد طوّرتها نوسباوم بإضافة أبعاد إنسانية ومعنوية وشخصية تشمل: الحياة، الصحة الجسدية، النزاهة الجسدية، الخيال، المشاعر، التفكير، العلاقات، الانتماء، اللعب، والسيطرة على المحيط (Nussbaum, 2011, p. 33). وترى نوسباوم أن نوعية الحياة لا تكتمل إلا بتحقيق هذه "الوظائف الجوهرية" لدى الإنسان. وتشير نوسباوم إلى أن إهمال أي وظيفة من هذه الوظائف الأساسية يُعد تقصيراً أخلاقياً في حق الإنسان (Nussbaum, 2011, p. 37).

19- نظرية التهميش الاجتماعي (Social Marginalization Theory)

تنطلق هذه النظرية من أن الاستبعاد الاجتماعي—سواء الاقتصادي، أو الثقافي، أو السياسي—يؤثر بشكل مباشر في انخفاض نوعية الحياة. وتُعد فئة اللاجئين من أبرز الفئات المعرضة لهذا النوع من التهميش (Silver, 1994, p. 532). وتستخدم هذه النظرية لتحليل كيف يشعر الفرد بالإقصاء من التعليم الرسمي، سوق العمل، النظام القانوني، أو حتى الحياة الدينية والثقافية. وتُفيد النظرية في تفسير ظاهرة "اللامرئية" التي يعاني منها كثير من الأفراد في المدن الكبرى. تشير سيلفر إلى أن التهميش تنتج شعوراً بالعجز وانعدام الانتماء، ما يؤدي إلى تدهور نوعية الحياة بشكل حاد (Silver, 1994, p. 537).

20- نظرية التوازن بين الجسد والعقل (Holistic Health Model)

تتعلق هذه النظرية بمفهوم الصحة الشاملة التي تشمل الصحة الجسدية، النفسية، والعقلية. تشدد النظرية على أن رفاهية الفرد تأتي من توازن هذه الجوانب الثلاثة، وأي خلل في أحدها يؤثر على نوعية الحياة. (ريم فواز، 2023، ص 98).

21- نظرية ألدرفر للحاجات (ERG Theory, 1969)

طور كلايتون ألدرفر نظريته كبديل لنظرية ماسلو، حيث صنف الحاجات في ثلاثة مستويات فقط بدلاً من خمسة:

- حاجات الوجود (Existence Needs): تتضمن الاحتياجات الأساسية مثل الغذاء والأمان.

- حاجات الارتباط (Relatedness Needs): تشمل العلاقات الاجتماعية والانتماء.

- حاجات النمو (Growth Needs): تتعلق بتحقيق الذات والتطور المهني.

النظرية تمتاز بأنها لا تفترض تسلسلاً صارماً كما في نظرية ماسلو، حيث يمكن للفرد أن يسعى لإشباع أكثر من نوع من الحاجات في نفس الوقت. (Alderfer, C, 1969، ص 142-175).

22- نظرية تقرير المصير (Self-Determination Theory, SDT)، إدوارد

ديك وريتشارد ريان

وتركز على ثلاثة احتياجات نفسية أساسية يجب تلبيتها لتحسين نوعية الحياة:

- الاستقلالية (Autonomy): الشعور بالقدرة على اتخاذ القرارات.

- الكفاءة (Competence): تحقيق الإنجازات والشعور بالنجاح.

- الارتباط الاجتماعي (Relatedness): بناء علاقات اجتماعية قوية.

إن إشباع هذه الاحتياجات الثلاثة يسهم في تحسين الرفاهية النفسية ونوعية الحياة، حتى لو كانت الظروف المادية محدودة (Deci, E. L., & Ryan, R. M، 2008، ص 182-185).

كل هذه النظريات التى تم تناولها ليست حصراً للنظريات الخاصة بدراسة نوعية الحياة، بل تمثل بعض التوجهات التي يمكن الأستناد إليها. ورغم اختلاف منطلقاتها وأساليبها، فإنها تلتقي جميعاً في مناقشة الجوانب التي ترتبط بموضوع دراستنا وتسهم في توضيح أبعاده المختلفة. فعلى الرغم من أن كل نظرية من هذه النظريات لها رؤية مختلفة لنوعية الحياة، حيث تركز بعض النظريات على إشباع الحاجات مثل (ماسلو وألدرفر)، بينما تهتم أخرى بالقدرات الفردية (آمارتيا سين)، أو التحليل النفسي والاجتماعي (ديك وريان)، أو تعتمد على المؤشرات الكمية (نظرية المؤشرات) إلا إنها افادت فى فهم شمولي للباحثة عن طرق قياس نوعية الحياة.

خامساً: مقاييس نوعية الحياة

- تطورت مقاييس نوعية الحياة حسب الابحاث العلمية مما يفتح المجال أمام فهم أكثر شمولاً لنوعية الحياة لدى اللاجئيين.

- مقياس منظمة الصحة العالمية لنوعية الحياة (WHOQOL)

يعتبر هذا المقياس من أكثر الأدوات استخداماً في تقييم نوعية الحياة، حيث يعتمد على تصور الفرد لرفاهيته الشخصية في سياقات متعددة، تشمل الصحة الجسدية،



الصحة النفسية، العلاقات الاجتماعية، والبيئة. ورغم شموليته، يواجه الباحثون صعوبة في تطبيقه على اللاجئين، نظراً لأن بعض مؤشراتته قد تكون غير ذات صلة في بيئات اللجوء، مثل إمكانية الوصول إلى الرعاية الصحية التي تختلف جذرياً بين الدول المضيفة. (سالم غزاي، 2023، ص 65-78)

- مقياس نوعية الحياة المرتبط بالصحة (HRQOL)

يركز هذا المقياس على العلاقة بين الصحة العامة وجودة الحياة، وهو ما يجعله ملائماً لدراسة اللاجئين الذين يعانون من صدمات نفسية ومشكلات صحية ناتجة عن تجارب النزوح. غير أن الاختصار على الجوانب الصحية قد يجعل هذا المقياس غير كافٍ لتقييم نوعية الحياة لدى اللاجئين، خاصة أن العوامل النفسية والاجتماعية تلعب دوراً أساسياً في تشكيل تجربتهم المعيشية. (سالم غزاي، 2023، ص 65-78)

- مقياس جودة الحياة الأوروبي (EUROHIS-QOL)

تم تطوير هذا المقياس لتوفير أداة مختصرة ومرنة تقيس نوعية الحياة من منظور متعدد الأبعاد، وقد تم تعديله لاستخدامه مع اللاجئين في الدول الأوروبية. ومن أهم جوانب قوته أنه يسمح بالمقارنة بين اللاجئين والسكان الأصليين، مما يساعد على فهم مدى نجاح سياسات الإدماج الاجتماعي. ومع ذلك، فإن تطبيقه في الدول النامية قد يكون إشكالياً، إذ يفترض وجود بنية تحتية صحية وتعليمية متكافئة لجميع السكان، وهو ما لا ينطبق على اللاجئين في بعض الدول المضيفة. (سالم غزاي، 2023، ص 65-78)

- مقياس ديينر للرفاهية الذاتية (SWLS)

على عكس المقاييس الأخرى التي تعتمد على المؤشرات الموضوعية، يركز هذا المقياس على تقييم الفرد الذاتي لمدى رضاه عن حياته. وتُظهر الدراسات أن اللاجئين غالباً ما تكون لديهم مستويات رضا متفاوتة، حيث قد يشعر البعض بالسعادة لمجرد حصولهم على الأمان، بينما يعاني آخرون من الإحباط بسبب القيود القانونية والاجتماعية التي تواجههم في بلد اللجوء. (ديينر وآخرون، 2020، ص 88)

- مقياس نوعية الحياة للاجئين (RQOL)

- تم تطوير هذا المقياس خصيصاً للاجئين، ويأخذ في الاعتبار العوامل الاجتماعية والقانونية التي تؤثر على حياتهم، مثل:
 - الوضع القانوني ومدى تأثيره على الاستقرار.
 - إمكانية الوصول إلى الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم.
 - التحديات الثقافية ومدى قبول المجتمع المضيف للاجئين.
 - التجارب السلبية مثل التمييز أو العنف المحتمل. (سالم غزاي، 2023، ص 65-78)
- أيضاً فإن الاختلافات الثقافية تلعب دوراً أساسياً في تفسير نتائج هذه المقاييس، إذ أن تصور "نوعية الحياة الجيدة" يختلف بين المجتمعات. على سبيل المثال، قد يعطي بعض اللاجئين أولوية للاستقرار القانوني أكثر من مستوى الدخل، بينما قد يرى آخرون أن فرص التعليم والعمل هي العامل الأكثر أهمية. لذلك، فإن دمج عدة مقاييس معاً قد يكون الحل الأمثل للحصول على رؤية أكثر دقة وشمولية لنوعية الحياة لدى اللاجئين. (سالم غزاي، 2023، ص 65 - 78)

• الخلاصة

في ضوء الفهم العلمى الشامل لنوعية الحياة. حيث تبين أن هذا المفهوم لم يظهر دفعة واحدة، بل تطور تدريجياً نتيجة تحولات فكرية واجتماعية واقتصادية، وذلك من خلال نشأة وتطور مفهوم نوعية الحياة، حتى أصبح أحد المفاهيم المركزية في تحليل أوضاع الأفراد والمجتمعات. وكيف تم تطويره من خلال كافة اتجاهات الانثروبولوجية الحديثة، وقد أوضحت المؤشرات المرتبطة بنوعية الحياة تنوع الجوانب التي يتضمنها المفهوم، سواء كانت اقتصادية، اجتماعية، صحية، نفسية، ثقافية، وروحية. وبفضل المنهج الانثروبولوجي وباستخدام كافة ادواته، وأيضاً باستخدام المنهج الوصفي التحليلي تصل دراسة نوعية حياة الافراد أو المجتمعات إلى أفضل وادق واقع لحياتهم.



• مراجع الدراسة:

- المراجع العربية:

- المحمودي، محمد سرحان (2019): مناهج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء، الجمهورية اليمنية.
- جمال الدين، أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، 2013، لسان العرب تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- جمال الدين، نجوى يوسف، 2020، جودة الحياة والتنمية المستدامة بحوث في التربية النوعية، جامعة القاهرة، كلية التربية النوعية، العدد 37
- فرجاني، نادر، 1992، نوعية الحياة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- عبدالله، أحمد 2023 مؤشرات قياس نوعية الحياة: بين البعد الموضوعي والذاتي دار الفكر، القاهرة، مصر
- عبيد، عائشة بيه، 2017، جودة الحياة وسبل تحقيقها في ظل علم النفس الإيجابي مجلة تاريخ العلوم، 3(6).
- عصر، رضا مسعد السعيد 2021 المنهج المختلط: مدخل تكاملي مجلة تربويات الرياضيات، مجلد 24، ع 5.
- فرجاني، نادر، 1992، نوعية الحياة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- قنديلجي، عامر، السامرائي، إيمان 2008 البحث العلمي الكمي والنوعي دار اليازوري، عمان، الأردن
- أفلاطون 1713 الجمهورية مطبعة كامبريدج، جامعة كامبريدج.
- ابن سينا 1020 الشفاء دار الكتب العلمية، بيروت.
- ماركس كارل، 1867، رأس المال، دار ديتز، برلين
- مبروك، سناء 2022 رؤية تحليلية لملامح تطور الأنثروبولوجيا الاجتماعية المجلة الاجتماعية القومية، 59(2)

- إد دينر هارفارد، 1984 الرفاهية الذاتية: مراجعة نظرية المجلة النفسية، 95(3).
- ويل، ديبينر، وآخرون 2000 مؤشرات الرفاهية الذاتية المركز القومي للبحوث الاجتماعية.
- فراش، مي صالح 2024 الاتجاهات النظرية لرأس المال الاجتماعي المجلة العربية لآداب والدراسات الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
- خلف، علي زيدان 2009 قراءة في تطور مناهج البحث الأنثروبولوجية كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، - بغداد
- بريتشارد، إدوارد 1975 الأنثروبولوجيا الاجتماعية ط5، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،
- تيلور 1891 الثقافة البدائية: أبحاث في تطوير الميثولوجيا والفلسفة والدين واللغة والفن والعادات لندن
- أرسطو 1895 الأخلاق النيقوماخية ج. بيل، لندن.
- السعيد، رضا مسعد، 2021، المنهج المختلط: مدخل تكاملي لدمج البيانات الكمية والنوعية في البحث التربوي مجلة تربويات الرياضيات، مجلد 24، ع 5.
- أبو حلاوة، محمد السعيد 2010 جودة الحياة: المفهوم والأبعاد ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي السابع لكلية التربية، جامعة كفر الشيخ.
- سالم، غزاي 2023 جودة الحياة: الأنواع والأبعاد والمؤشرات والاتجاهات المفسرة مجلة العلوم الاجتماعية، 15(1).
- سرحان، محمد علي 2019 مناهج البحث العلمي ط3، دار الكتب، صنعاء، اليمن.
- سميث، آدم 1776 ثروة الأمم مطبعة بنجوين، لندن.
- سيلغمان، مارتين، 2011، السعادة الحقيقية ترجمة محمد نجيب الصبوة، دار الشروق، القاهرة، ص 120
- منسي، محمود عبدالحليم حامد، كاظم، علي، 2010، تطوير وتقنين مقياس جودة الحياة لدى طلبة الجامعة في سلطنة عمان، مجلة أماراباك، المجلد 1، العدد 1.
- رضوان، سامر جميل 1997 توقعات الكفاءة الذاتية: البناء النظري والقياس مجلة شؤون اجتماعية، ع 55، السنة الرابعة عشرة، الشارقة.



- أبو زيد، أحمد 2017 مدخل إلى الأنثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
- عواد، نسرين 2021 المنهج الكيفي في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية، دار اليازوري، عمان
- سليمان، محمود 2019 السياحة والتفاعل الثقافي: دراسة أنثروبولوجية في واحة سيوة، دار الفجر، القاهرة
- المراجع الأجنبية:
- Appadurai, A. 1996 Modernity at large: Cultural dimensions of globalization University of Minnesota Press, USA,
- Bandura, A. 1997 Self-Efficacy: The Exercise of Control. New York: Freeman
- Brickman, P., & Campbell, D. T. 1971 Hedonic relativism and planning the good society. In Appley, M. H. (Ed.) Adaptation-level theory. Academic Press
- Berkman, L. F., & Glass, T. 2000 Social integration, social networks, social support, and health. In: Berkman & Kawachi (Eds.) Social Epidemiology. Oxford University Press
- Brickman, P., Coates, D., & Janoff-Bulman, R. 1978 Lottery winners and accident victims: Is happiness relative? Journal of Personality and Social Psychology, 36(, 917-927.
- Brown, P. 2023, Personal growth and quality of life, Cambridge University Press- Cambridge,
- Bourdieu, P. 1986 The forms of capital. In: Richardson, J. Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education. Greenwood Press
- Diesendorf, M. 2000 Sustainability and sustainable development. In: Dunphy, D., Benveniste, J., Griffiths, A., & Sutton, P. Sustainability: The Corporate Challenge of the 21st Century. Allen & Unwin
- Douglas, M. 2002 Purity and danger: An analysis of concepts of pollution and taboo Routledge, UK,
- Geertz, C. 1973 The interpretation of cultures Basic Books, USA,
- House, J. S. 1981 Work Stress and Social Support. Addison-Wesley

- Diener, E., Suh, E. M., Lucas, R. E., & Smith, H. L. 1999, Subjective well-being: Three decades of progress, Psychological Bulletin,
- Eriksen, T. H. 2015 Small places, large issues: An introduction to social and cultural anthropology Pluto Press, UK,
- Ingold, T. 2000 The perception of the environment: Essays in livelihood, dwelling and skill Routledge, UK,
- Ryff, C. D., & Keyes, C. L. M. 1995, The structure of psychological well-being revisited, Journal of Personality and Social Psychology.
- Felce, D., & Perry, J. 1995, Quality of life: Its definition and measurement, Research in Developmental Disabilities, 16.
- Johnson, R., & Anderson, L. 2022, Humanistic psychology and life satisfaction, Springer, New York
- Putnam, R. D. 2000 Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community. Simon & Schuster..
- Rapport, N., & Overing, J. 2000 Social and cultural anthropology: The key concepts Routledge, UK,
- Rawls, J. 1971 A Theory of Justice. Harvard University Press.
- Smith, J. 2021, The self-concept and well-being, Routledge, London.
- Steger, M. F., Frazier, P., Oishi, S., & Kaler, M. 2006 The meaning in life questionnaire: Assessing the presence of and search for meaning in life. Journal of Counseling Psychology, 53(1), 80–93
- Masten, A. S. 2001 Ordinary magic: Resilience processes in development. American Psychologist, 56(3), 227–238
- Maslow, A. H. 1943, A theory of human motivation, Psychological Review, 50(4 -
- Maslow, A. H. 1954, Motivation and personality, Harper, New York
- Maslow, A. H. 1962, Toward a psychology of being, Princeton University Press, Princeton
- Max-Neef, M. 1991 Human Scale Development: Conception, Application and Further Reflections. Apex Press.
- Nussbaum, M. C. 2011 Creating Capabilities: The Human Development Approach. Harvard University Press.
- Lazarus, R. S., & Folkman, S. 1984 Stress, Appraisal, and Coping. Springer Publishing Company



- Kearney, M. 2018 World view theory and study Waveland Press, USA,
- Kleinman, A. 1980 Patients and healers in the context of culture University of California Press, USA,
- Milton, K. 1996 Environmentalism and cultural theory: Exploring the role of anthropology in environmental discourse Routledge, UK,
- Taylor, S. 2023, Unconditional positive regard and psychological well-being, University of Chicago Press, Chicago
- Turner, V. 1969 The ritual process: Structure and anti-structure Aldine Publishing, USA,
- Shweder, R. 1991 Thinking through cultures: Expeditions in cultural psychology Harvard University Press, USA, p. 118
- Silver, H. 1994 Social exclusion and social solidarity: Three paradigms. International Labour Review, 133(5-6), 531-578
- Steger, M. F. 2009 Meaning in life. In: Snyder, C. R., & Lopez, S. J. Oxford Handbook of Positive Psychology. Oxford University Press.
- Steger, M. F., Frazier, P., Oishi, S., & Kaler, M. 2006 The Meaning in Life Questionnaire. Journal of Counseling Psychology, 53(1), 80-93.
- Veenhoven, R. 2000 The four qualities of life. Journal of Happiness Studies, 1(1), 1-39
- Wolf, E. 1982 Europe and the people without history University of California Press, USA, .Deci, E. L., & Ryan, R. M. 2000 The “what” and “why” of goal pursuits: Human needs and the self-determination of behavior. Psychological Inquiry, 11(4), 227-268.

- المراجع الالكترونية

- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2023، التقرير السنوي عن اللاجئين <https://www.unhcr.org/ar>
- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2024، آلاف الأشخاص ما زالوا يفرون من السودان يوميًا بعد عام من الحرب <https://unhcr.org>
- منظمة الصحة العالمية 2004 الصيغة العربية لمقياس نوعية الحياة الصادر عن منظمة الصحة العالمية <https://www.who.int/ar> WHOQOL-100

